IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة جامعة الكوت للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
عدد خاص لبحوث المؤتمر العلمي الدولي السادس للإبداع والابتكار للمدة من 16 - 17 نيسان 2025

الخطاب النّقديّ العربيّ الحديث: بينَ العولمة والإيكولوجيا

م. م. زهراء لطيف حميد [1]

المستخلص

يتناول بحثي هذا ملامح التحوّل في النّقد الأدبيّ العربيّ الحديث ضمن سياقات العولمة وماتلاها والإيكولوجيا، بوصفِهما إطارين متداخلين يعيدان تشكيل الوعي النقديّ. فالعولمة، بما تمثّله من هيمنة ثقافيّة ومعرفيّة، أفرزت تحديات عميقة في بنية الخطاب النقديّ العربيّ، وفرضت أسئلة تتعلق بالهويّة، والتلقي، وفاعلية النقد في زمن الطفرة المعلوماتيّة. وبالمُقابل، يبرز النّقد الإيكولوجيّ مُذ تأسيسه بوصفه محاولة لإعادة النظر في علاقة الإنسان بالبيئة والمكان، ساعياً لتجاوز مركزيّة الإنسان والاحتفاء بالأنظمة البيئيّة الطبيعية والتّعدديّة الحيويّ. ويعتمد البحث منهجاً تحليليّاً ونظرياً، ويُقارن بين نماذج من النقد العربيّ ونظيراتها الغربيّة، ليؤكد الحاجة إلى نقد عربيّ يتجاوز الاستهلاك السطحيّ للمناهج الغربيّة، ويتأسس على قراءة واعية لواقع الثّقافة والبيئة في العالم العربيّ. يتتبع البحث بمساراته المسافة الفاصلة بين النّقد العربيّ التّقليديّ وتلك المناهج الجديدة، مشيرًا إلى تباطؤ واضح في استيعاب الطفرات المعرفيّة الكونيّة والثقافيّة. كما يُناقش إمكانات هذا النّقد في تجديد الخطاب الأدبيّ العربيّ، خصوصاً في ضوء الأزمات البيئية التي تشهدها الآن المجتمعات العربيّة، وما تفرضه من التركيز على المكان والعلاقة المُتبادلة بينَ النص والعالم. وبذلك، يُعيد البحث طرح سؤال جوهريّ هام: هل يمكن للنقد البيئيّ الحاليّ أن يكون أداة لإنتاج خطاب ثقافيّ عربيّ أكثر توازناً وتمثيلاً في زمن الاضطراب المناخيّ والمعرفيّ والنّقديّ؟

الكلمات المفتاحيّة: العولمة، النّقد البيئيّ، الايكولوجيا، النّقد الأخضر، مابعد العولمة

انتساب الباحث
[1] كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، بغداد، 10081

[1]zahraa.l@coart.uobaghdad.edu.iq

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تأريخ النشر: تشرين الاول 2025

Modern Arab Criticism between Globalization and Ecology

Assis. Lec. Zahra Latif Hamid [1]

Affiliation of Author
[1] College arts, Univ. Baghdad, Iraq, Baghdad, 10081

[1]zahraa.l@coart.uobaghdad.edu.iq

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Oct. 2025

Abstract

This research investigates the evolution of modern Arabic literary criticism through the dual lenses of globalization and ecocriticism. Globalization has introduced profound shifts in knowledge production, cultural identity, and critical discourse, often pressuring Arab criticism to respond to new paradigms and epistemological frameworks. However, the Arab response has been marked by hesitancy and delay, particularly in engaging with contemporary critical approaches that challenge traditional anthropocentric views. Ecocriticism, as a relatively recent approach in the Arab context, offers a platform for reevaluating the relationship between human beings, text, and environment. It calls for a deeper awareness of place, nature, and the non-human world, expanding the literary field to include ecological consciousness. This study analyzes the extent to which Arabic criticism has integrated these global perspectives and whether it has managed to move beyond passive reception toward critical productivity. It also explores how ecocriticism could contribute to renewing Arab literary discourse, especially amidst growing environmental and cultural crises. By employing comparative and analytical methods, the research draws on both Arabic and Western theoretical sources to demonstrate the necessity of reconfiguring Arab critical practices. Rather than adopting Western models uncritically, it advocates for a context-sensitive criticism rooted in Arab cultural and environmental realities. Ultimately, the study raises a key question: can ecocriticism, as a tool of rethinking the human-nature relationship, help produce a more dynamic and responsive Arab literary criticism capable of facing the intertwined challenges of environmental change and global intellectual pressure؟

Keywords: Globalization, Environmental Criticism, Post-globalization, Green Criticism, Ecology

المقدمة

بدأت التحولات العالميّة الكبرى بإلقاء ظِلالها على العلوم والآداب وربما صنعت منعطفات خطرة أعادت تشكيل وجه العالم فكريّاً، إنسانيّاً، وحتى بيئيّاً بدا الأمر وكأن الإنسان المعاصر بدأ يستفيق رويداً من أوهامه، ولربّما ترك معتقداته أو هدمها وأحلّ محلّها معتقدات جديدة، ومع مرور الوقت والتطور الذي خلقه الإنسان ليغير بها عالمه، بدت بعض المعتقدات والأفكار الحديث بطريقة خاطئة فيتخلى عنها، وفي أحيانٍ كثيرة قد لايحلُّ محلها شيئاً. وكحقل يهتم بدراسة الأدب حيث يتم تصوير الإنسان أو مُستقبل الإنسان، صار النقد الأدبي العربي يواجه تحديات جديدة لم يشهدها النقد العربي قديماً تتصل بطبيعة انخراطه في منظومات متعددة ومعقدة منها المنظومات الفكرية والمعرفية المتجددة.

صارت العولمة تفرض منطقها المُكتسح لما قبله من فلسفات نقدية متنوعة تتناسب مع العصر المنبثقة منه، فأخذت توحد الأطر الثقافية والسياسية والاقتصادية، فأذابت الفوارق المحلية وشكّلت العالم بطريقة مغايرة، مما جعل النصوص الأدبية تتغير أو تُفرض عليها عمليات إعادة تعريف بصورة مستمرة لمفاهيمها الأساسية كالهوية، والانتماء، والآخر، واللغة، والخطاب المُضمر خلف كل ماهو أدبيّ.

قابل هذا التيار المُكتسح، حركاتٍ فكريّة موازيّة للتغيرات الجارفة في المفاهيم العالمية، فقد سعى العلماء والأدباء والفلاسفة والفنانون لإعادة الاعتبار للطبيعة والبيئة إن أردنا أن نكون أكثر شمولاً، ممثلةً بظهور النقد البيئي (الإيكولوجي)، فكان سعي مؤسسوالحركة مُتجهاً نحو مُساءلة علاقة الإنسان بالعالم الطبيعي من حوله وسط أزمات التلوّث العالميّ البيئيّ وتفاقم ظاهرة الاحتباس الحراريّ وانقراض العديد من الأنوع الإحيائيّة من البيئة الطبيعيّة.

أضاف النقد البيئي ثيمة أساسية للدراسات النقديّة العالميّة المابعد حداثويّة فحينما تناولت الأعراق الأجناس الطبقات، كنظريّة لتحليل الخطاب أو النص الأدب، فقد رأى الناقد "لورانس بويل" بأنّه من الناحية النظريّة كانت هناك لفترة طويلة فجوة بين النصوص والوقائع؛ حيث يملأ النقد البيئي هذه الفجوة يُفترض النقد البيئيّ بأن ثَمَّة واقعاً فوق النصوص يؤثِّر على الكائنات البشرية وأدواتهم، والعكس يمكنه أن يكون صائباً. (يُنظر: ديفيد كارتر: 2010، 155-157)

وكان وليام روكرت من النقاد الأوائل الذين أثاروا قضية علاقة الأدب بالإيكولوجيا بل يعزى له الفضل بأنه أول من اقترح استعمال النقد الإكولوجي للتعبير عن هذه العلاقة. فكان روكرت حذرا في التعبير عن هذه التجربة الجديدة باعتبارها مغامرة لأنها تجمع بين حقلين معرفيين يبدو في الوهلة الأولى أنهما لا يجتمعان، فالإيكولوجيا تُصنف في العلوم الدقيقة بينما الأدب مجاله الخيال والإبداع، إضافة إلى أن للعلوم الدقيقة تأثير أكبر: "في الجمع بين الأدب والإيكولوجيا درس في أصعب وأقسى الوقائع التي تتخلل مهنتنا: نعيش بالكلمة، وبقوة الكلمة، ولكننا عاجزون على تطبيق الكلمة. فالقوة الحقيقية في زماننا سياسية واقتصادية وتكنولوجية، والمعرفة الحقيقية علمية على نحو متزايد(William Rueckert, 2021, 115') نقلاً عن: مقال سعيد منتاق: 2 يناير 2021)

أزداد الاهتمام بالأدب البيئي من قبل المهتمين بعلم البيئة المتقدم، فنشأت فكرة (الإيكولوجيا الأدبية) مع (جوزيف ميكر) في كتابه (كوميديا البقاء: دراسات في علم البيئة الأدبية) عام 1972م، ثم تبع ذلك صياغة مصطلح (النقد البيئي) في عام 1978م بوساطة (ويليام روكيرت) في مقالته (الأدب والبيئة: تجربة في النقد البيئي) كما يرى بعض النقاد ودارسي الأدب، فعندما قام بتحليل بعض الأعمال الأدبية في سياق القضايا البيئية والطبيعية، وهذا يعني أن الاهتمام بهذا الأدب ما زال في طور البدايات، لكننا في حقيقة الأمر على مستوى الأدب العربي لم نجد من مؤسساً لهذا المصطلح في الأدب العربي ونقده إلا على نحو ضئيل جداً، إذ ما زال في مرحلة التبلور والبناء، على الرغم من كثرة وجود الأعمال الأدبية (العربية والعالمية) التي تشجع على مزيد من هذه الدراسات العلمية في هذا التخصص الحيوي الجديد.(نفسه).

بدأت الدراسات الايكولوجية تتولى منذ ثمانينيات القرن العشرين وتنصب على دراسة للعلاقة بين الانسان والبيئة وتستند إلى المفاهيم الاساسية التي يقدمها علم الايكولوجيا، فالفلسفة الايكولوجية قائمة على نقد النموذج الارشادي المنحدر لدراساتنا منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر، بيد أنه أستمر في توجيه مسيرة العلم والتكنولوجيا والثقافة في عالمنا العربي ويؤثر على أنحاء العالم الأخرى، وعليه طالبت الفلسفة الايكولوجية باستبدال هذا النموذج بنموذج إرشادي ايكولوجي يتمركز حول الطبيعة والكائنات الحية الأخرى وتنوع أشكال الحياة فيها، ويركز على دراسة قيمتها الذاتية المستقلة عن منفعتها للبشر فقط (ينظر: ، مايكل برانش، العدد 36، 2007)

يُعرّف النقاد النقد البيئيّ بطريقة مبسطة وعرفه بيرون أن الإيكولوجيا علم دراسة العلاقات المتبادلة على اختلاف أنواعها بين الكائنات الحيّة (الإنسان، الحيوان، النبات) وبيئاتها الطبيعية، ويتسع هذا المفهوم في الدراسات الأدبيّة ويتعمق به النقاد ليشمل تحليلاً لتمثلات الطبيعة، والتفاعلات بين الإنسان والمكان (البيئة)، وكيف تتجلى صور وأنواع هذه العلاقات في النصوص الأدبيّة المكتوبة من قبل إنسان يعيش في بيئة ما ويكتب عنها أو يتخيلها تخيلاً. (النقد البيئي:مفاهيم وتطبيقات:2024، 34-38)

وقد ذكر النّقاد مسميات ثلاثة هي: الإيكولوجية السياسية والاجتماعية، الإيكولوجية العميقة أو الجذرية، والإيكولوجية النسوية. ومنهم مايكل زمرمان الفلسفة البيئية إلى ثلاثة حقول أساسية هي: حقل الأخلاق البيئية، والإيكولوجيا الجذرية والتي تتضمن مفهومين، هما: الإيكولوجيا العميقة المضادة لمفهوم المركزية البشرية، والإيكولوجيا النسوية المضادة لمفهوم الهيَرَركية والتراتبية، و الحقل الإصلاحي الذي يوازن بين المركزية البشرية والممارسات الاستهلاكية، عبر سن القوانين المناسبة.(النقد البيئي:مفاهيم وتطبيقات:2024، 42-46).

العولمة وطفرة المعرفة العالميّة: بين الإفادة والتّقليد

لقد تغيّر مفهوم المعرفة تغيّرًا كبيراً في ظل النظام العالميّ الجديد الذي فرضته العولمة على الواقع، فلم تعد كسابقها تُنتَج ضمن حدود جغرافيّة أو ثقافيّة مغلقة، بل أصبحت كياناً عابراً للحدود، تُشكّله القوى الكبرى، وشبكات الاتصال، والتكنولوجيا، والنظم التعليميّة العالميّة. فلم يعد التراكم المعرفي مشروطًا بالسياق المحليّ أو القوميّ، بيد أنّه أصبح منخرطاً، إن لم يكن خاضعاً، لمنطق العولمة حيث يفرض نماذج إنتاج وتوزيع معرفيّ معيّنة. هذه الطفرة المعرفيّة لا تحمل بالضرورة طابعاً تقدميّاً أو تحرريّاً، بل قد تكون أداة من أدوات السيطرة الثقافيّة الجديدة، حيث تُصبح المعرفة في جوهرها أداةً فعالةً لـ"إعادة تشكيل الوعي"، وفق تعبيرد. إدوارد سعيد، لا مجرد وسيلة للفهم أو التنوير الثقافي.(يُنظر: سعيد، أدورد: 2016: 12-18)

وفي خضم هذا التحوّل، وقفَ النقد العربيّ الحديث على مفترق طرق، لا سيما مع تصاعد التيارات النظريّة الغربيّة الحديثة، حيث أعادت النظر في أساسيات التفكير النقدي. فمناهج ما بعد البنيوية، والنقد الثقافيّ، وما بعد الاستعمار، ونظريات ما بعد الحداثة، كلّها مثّلت أنماطًا مختلفة من التأويل والقراءة، غالبًا ما تلقّاها المتنوّر أو المثقف العربيّ كما هي بالتحديد، دون إعادة تموقع أو تفكيك لآلياتها ومرجعياتها وحقول دراساتها. ومن هذا المنطلق نشأت فجوة بيّنة بين الفكر النقديّ العربيّ والواقع المعرفيّ والنقديّ الذي يفترض أن يتفاعل معه، هذا الفجوة أنتجت بدورها خطابًا نقديًا يتسم في كثيرٍ من الأحيان بالتكرار، وغياب التأصيل الفكريّ، والاكتفاء بمحاكاة النماذج الأجنبيّة.

يمكننا القول دون مبالغة إن هذا التفاعل المشروط أو القابع تحت العولمة جعل من النقد العربيّ أداة توصيل لا أداة تحليل، أي أنه ينقل المناهج ويترجمها وينسخها دون أن يُعيد إنتاجها بما يتلاءم مع بنيته الثقافية الثقافة وخصوصية النص العربي. ويتجلّى هذا التحدي بغياب الإسهامات النقديّة العربية الهامة والأصيلة على وجه التحديد، والتي تواكب التطور الهائل في العلوم الإنسانيّة والاجتماعية في أوربا أو أنحاء العالم الاخرى، وكذلك في ضعف التجاوب مع المباحث الجديدة في حقل النقد العربي مثل النقد الإيكولوجيّ، والدراسات ما بعد الإنسانية، ونقد ما بعد النموذج العقلاني، والتي تتطلب بنية معرفيّة شديدة المرونة ومنفتحة على تحوّلات الإنسان والعالم، وليس فقط على النماذج النصيّة التي يتعامل معها الناقد دون أن يربطها بالإنسان.

ولقد أنتجت العولمة نتاجاً هائلاً تسبب في إحداث نوع من "الانفجار المعرفي" ، وفي الوقت ذاته كبحت قدرة المثقف العربيّ على الفعل، إذ تحوّلت المعرفة إلى سلعة رقميّة، تُستهلك بالقدر الذي تُنتجه، مما أدى إلى تآكل وتشظي فكرة التأمل المعرفيّ العميق، وسيادة نموذج السرعة والكثافة على حساب التحليل والفهم أي النقد وأدواته. هذا التحوّل لم يقتصر أثره على النخب الأكاديمية في العالم أو الوطن العربيّ فقط، بل يمتد إلى منظومة التلقي الفكري بشكلٍ عام، حيث أصبح القارئ العربيّ بدوره مسيطراً عليه بوساطة لغة العولمة الحديثة، وهذا ما يُقرأ ضمن ما أنتجته الخوارزميات، لا ما أنتجه أو السياق الثقافيّ الحيّ.

أما على مستوى المنهج النقدي، فإن الواقع العربيّ يعاني من افتقار واضح لأدوات تحليل تستوع أو تحاكي واقع التحوّل المعرفيّ، إذ ما تزال البحوث الأكاديميّة مشدودة إلى أنماط تقليديّة في تصنيفها، والقرائتها، ومعالجاتها، لا تأخذ بعين الاعتبار ما يُعرف بـ"الأنطولوجيا الجديدة" التي تفكك ثنائيات الإنسان/الطبيعة، العقل/الجسد، المركز/الهامش. فالنقد العربي لم يستوعب بعد تيارات مثل "التحليل الأركيولوجي" لدى فوكو، أو "النقد الإيكولوجي" الذي يدمج البعد البيئي في قراءة النصوص، أو حتى تيار "ما بعد الإنسانية" الذي يُعيد تعريف الإنسان خارج مركزياته الكلاسيكيّة المُتعارف عليها عند نقاد أوربا أو أميركا أو بصورة أشمل العالم الغربيّ. (يُنظر: جودت، عبير، 2024: 33-37).

لا يمكن تجاهل الأثر الذي تتركه العولمة على مفهوم "الذوق الثقافيّ"، حيث تفرض قوالباً جاهزةً لِما ينبغي أن يُقرأ أو يُعاش أو يُحتفى به في عالمنا المعاصر، وقد أدّت هذه الفرضيات إلى نوع من الاختناق الجماليّ والمعرفيّ، إذ تراجعت المساحات الحرة التي يُمكننا فيها أن نمارس في نقدنا أو تفكيرنا الأدبي العربيّ "التخيّل النقديّ" خارج أنساق المهيمن الثقافيّ العالميّ. ويُشار أحياناً إلى أن العالم العربيّ يعيش حالة اغتراب مزدوج، فهو مهدد من الخارج بالنموذج الغربيّ، ومن الداخل بانفصاله عن جذوره الفكريّة والتاريخيّة، ما يجعل المثقف في موقع التذبذب الدائم بين التجاوب والرفض، وبين التلقي والاستسلام.

ولعلّ ما يعمّق هذا الإشكال هو طبيعة المؤسسة الأكاديميّة العربيّة، حيث لا تزال تُعلي من خطاب التلقّي السلبيّ، وتُقيّد البحث الجامعيّ بقيود شكلية ومنهجيّة، تمنع الانخراط الحقيقي في مغامرة التفكير الجريء أو الطروحات العابرة للتخصصات بماهو ضمن حقل الدراسات الإنسانيّة. وهكذا يصبح الطالب والباحث العربيان مجرد ناقلين لا مبدعين أو مبتكرين، وتُختزل عملية إنتاج المعرفة أو حتى إعادة إنتاج المعرفة إلى مؤسّس المرجع الغربيّ ودون اشتغال نقدي عليه أو وعي بإمكانات تجاوزه.

لقد أصبحت المعرفة المُعولمة أداة هيمنة ناعمة، تفرض القوى العظمى المُسيطرة من خلالها نظامًا ثقافيًا ومعرفيًا لا يُتيح للآخر شيئاً إلا هامش التفاعل أو الاندماج المشروط. وقد نبّه إدوارد سعيد إلى أن "الثقافة ليست بريئة، إنها دائمًا مرتبطة بالسلطة"، (يُنظر: سعيد، إدورد،2006: 84-87) وهنا تتجلى خطورة العولمة المعرفيّة التي لا تنقل فقط منتجات الغرب، بل تنقل أيضًا أنماط التفكير والتأويل ومعايير التذوق والتحليل. وما يُعمّق الإشكال أن الكثير من الدراسات النقديّة العربيّة لا تزال تتعامل مع هذه المرجعيات بحياد زائف، دونَ مساءلتها، وكأنها حقائق نهائيّة لا تقبل التفكيك أو إعادة التأويل.

من اللافت أيضًا أن طفرة المعرفة الناتجة عن العولمة ترتكز في جوهرها على مفاهيم المركزية الغربية، أي أن مراكز إنتاج المعرفة تقع في فضاء محدد، غالبًا ما يتجاهل أو يُقصي التجارب الفكرية والثقافية غير الغربية، بما فيها التجربة العربية. وقد أشار عبد الله إبراهيم إلى أن الخطاب النقديّ العربيّ اتجه نحو تمثل الأنساق الغربيّة بحذافيرها دون أن يحاورها أو يُعيد إنتاجها وفق واقعه المُعاش (يُنظر: إبراهيم، عبدالله: 2010، 85-88)، وهو ما يضعنا أمام مأزق التبعيّة المعرفيّة، حيث يتراجع الفكر النقديّ من موقع المبادرة إلى موقع التلقيّ، ومن الفعل إلى رد الفعل.

وعلى الرغم من كثافة ما يُترجم من كتب ومصادر نقديّة من لغاتها الأصليّة إلى اللغة العربيّة، إلا أن ما يُنتَج من فكر نقدي أصيل يُواكب الأسئلة المستجدة نادر جدًا. إذ غالبًا ما نجد أن الجامعات والمراكز البحثية العربية تميل إلى إعادة إنتاج أسئلة القرن العشرين بدل أن تُصغي لتحديات القرن الواحد والعشرين. فمثلًا، لم يحظَ النقد الإيكولوجي، رغم اتساع مجاله عالميًا، باهتمام جاد في البيئة العربية، على الرغم من أهميته في ضوء الأزمات البيئية المتفاقمة، التي تُعيد النظر في علاقة الإنسان بالمكان والطبيعة والوجود ذاته. وهذا ما تناوله لورانس بويك في كتابه Criticism and the Environment أن لإيكولوجيا النقدية ليست ترفًا فكريّاً بل ضرورة وجوديّة تمسُّ علاقة الإنسان بالعالم، وهي مسألة تتقاطع مع أسئلة مركزيّة في الثقافة العربيّة التي طالما نظرت إلى المكان بوصفه قيمة رمزيّة مُتجردة أحياناً، لا مجرد فضاء جغرافي تحكمه الحدود. يُنظر:(Criticism and, 2005: 82-85)

وإذا انتقلنا إلى طبيعة التلقي الثقافيّ داخل المجتمعات العربيّة، فإننا سنلحظ نمطًا مُختلفاً من الانفصال المعرفيّ بين النخب الثقافيّة والمجتمع. فالقارئ العربيّ في يومنا هذا، وبظل الانفتاح الرقميّ الهائل، لا يتعامل مع النصوص النقديّة باعتبارها أدواتٍ للفهم، بل غالباً ما يُقصيها لصالح نصوص سريعة، سطحية، مشروطة بمنطق الخوارزميات والمتطلبات التجاريّة. وهذا الانفصال المعرفي يخلق طبقة فكريّة معزولة أو منعزلة ، تعيش وتتحدث في صوامعها، بينما تتجه شرائح واسعة من المجتمع إلى نماذج استهلاك معرفيّ خاضعة لمنطق الصورة والتسلية والمؤسسات التي تحكم الواقع الرقمي المعاصر، وقد عبّر زيغمونت باومان عن هذه الظاهرة حين أشار إلى أن "المجتمع السائل" في عدّة كتب من مشروعه عن السيولة فقد يجعل المجتمع السائل وحداثته السائلة من كل شيء قابلًا للاستهلاك، حتى المعرفة، التي تفقد طابعها التأملي والتحويلي.(يُنظر: باومان، زيجموند، 2016: 68-69).

وفي هذا السياق، يمكن الإشارة إلى غياب مشروع نقدي عربيّ موحّد يُعالج العولمة من موقع الفاعل. فبينما نجد في التجارب اللاتينية أو الآسيوية أطروحات نقديّة جديدة تتناسب مع خصوصية نصوصها وتُعيد النظر في المنظومة المعرفيّة الغربيّة، لا تزال المقاربات العربية جزئية أو خطابية، تُشيد بالمناهج الغربية أو ترفضها دون تفكيك. وهذا ما يجعل من مهمة تأسيس "نقد العولمة" بالعربيّة عملاً معلقاً، في غياب الإطار المؤسساتيّ والفكريّ الذي يُتيح له النضج والتراكم.

أما على مستوى البنية النقديّة ذاتها، فإن عدد من المفكرين العرب كانوا يدعون منذ عقود إلى "كتابة أخرى"، تبتعد عن التبعيّة وتُعيد تموضع الفكر العربيّ بين النتاجات الفكريّة الغربيّة. ولكن، بدلاً من أن نُطوّر هذا الاتجاه، وجدنا أنفسنا نُعمّق من الاعتماد على المناهج الغربيّة، ونكتفي بمحاكاتها. وغالبًا ما يتم التعامل مع هذه المناهج بمنطق الترجمة والشرح لا بمنطق النقد، وبمنطق الاستشهاد لا بمنطق الإبداع والابتكار، وهو ما يُفرغ النقد من معناه وقوّته كأداة هامة للتفكيك.

إن أخطر ما أفرزته العولمة في جانبها المعرفيّ لا يكمن فقط في انسياب المعلومات، بل في تحوير الوعي وإعادة تشكيل مفهوم الهوية الثقافيّة داخل البنى الذهنية للمتلقين. فالمعرفة لم تعد تمرّ عبر وسائط أو سُبل تقليديّة يمكن مساءلتها أو ضبط إيقاعها، بل باتت محمولة على نماذج سلوكيّة وقيمية تنتشر بسرعة البرق، وتتسلل إلى البنية الذهنيّة للمجتمعات، فتُفرغ الخطاب النقديّ من قدرته على المساءلة، وتُعيد تشكيل الواقع مراراً وفقًا لهيمنة لا تُشبه

الاستعمار الكلاسيكيّ، بل تتجاوزه إلى ما يمكن أن يُسمى بـ"الاستعمار المعرفيّ".

وفي ظل هذا المناخ، تحوّلت بعض النخب الأكاديمية العربية إلى وسيط و وسيط بين المرجعيات الأجنبيّة ومجتمعاتها، دون أن تطرح على نفسها سؤالًا جوهرياً: هل تملك الثقافة العربيّة منظومة فكريّة قادرة على التفاعل الخلّاق مع المعرفة العالمية العابرة للقارات؟ أم أن هذا التفاعل ما يزال يراوح بين الانبهار والتقليد؟ لقد أشارت سلمى الخضراء الجيوسيّ إلى أن الفكر العربيّ لم يتوقف بما فيه الكفاية أمام فكرة الذات الثقافيّة المستقلة، وهو ما يُفسر هشاشة التفاعل العربيّ مع العولمة المعرفيّة، التي وُوجهت غالبًا إما بالرفض العاطفيّ أو بالقبول غير النقديّ.(يُنظر: الجيوسيّ، سلمي الخضراء، 2007: 56-59).

ولعل غياب الاهتمام بالمناهج الجديدة مثل النقد الإيكولوجي والأنطولوجيا المادية يُمثّل دليلًا حيًّا على عمق الفجوة. فالنقد البيئي، مثلًا، الذي نشأ مع أعمال علماء مثل شيري أورث، ولورنس بويلك، لا يحظى بالاهتمام الكافي، رغم ما يطرحه من أسئلة تمس جوهر العلاقة بين الإنسان والمكان، والنص والطبيعة، والتاريخ والبيئة. فكل قراءة للنصوص يجب أن تأخذ في اعتبارها مكان نشأة النص، ليس فقط جغرافياً، بل بيئياً أيضًاً، لأن الطبيعة ليست خلفية صامتة، بل طرف فاعل في الحطاب والدلالة المُنتجة. إلا أن هذا البعد غائب عن المدونة النقدية العربية مذ سنواتٍ عدة، أو على الأقل لم يُشكل تياراً ملموساً بعد ولغاية السنوات القريبة.

ويُعدّ الجانب المؤسسيّ على اختلاف مُسمياته من أكبر العقبات أمام انبثاق خطاب نقديّ عربيّ متجذر ومجدد. فالمؤسسات الأكاديميّة العربية في شتى بلدان الوطن العربيّ غالبًا ما تُسهم في إعادة تدوير المعرفة بدل إنتاجها بما يلائم ثقافتنا العربيّة، حيث يُقيّم الباحث لا بمدى أصالة طرحه، بل بمدى التزامه بقوالب جاهزة مراجع هي الأخرة جاهزة أو ناقلة عن مشروع جاهز غربي، ومناهج مقرّرة، وأطر شكليّة لا تتيح الانزياح أو التجريب. فالمجلات المحكمة، مثلًا، لا تزال تفضل الأبحاث التي تُعيد شرح المناهج الغربيّة بدل تلك التي تُقدم مواقف تأويلية جديدة، ومُنتج ثقافي جديد، وهكذا يصبح "النقد النقديّ"، أداة لتحرير الوعي وتفكيك الهيمنة، عملًا نادرًا، إن لم يكن شبه غائب لكنه يمكن أن يكون مُغيباً.

يستكشف النقد البيئي كإطار نظري العلاقات المُعقدة بيقن الأدب والبيئة الطبيعية التي نعيش عليها ولا يقتصر هذا النهج متعدد التخصصات على دراسة كيفية تمثيل النصوص الأدبية والخطابات للطبيعة فحسب بل يستقصي الأثار الثقافية والاجتماعية والسياسيّة لهذه التمثيلات. وفي العقود الأخيرة أكتسب النقد البيئي زخماً كبيراً مدفوعاً بتزايد الالحاح على القضايا البيئية والاعتراف بصورة أكبر بدور الأدب في تشكيل تصورات الإنسان ومواقفه تجاه العالم الطبيعيّ (Tajane, Suchitra and others 2024: 1162)

وإذا ما دققنا في مفردة "الطفرة المعرفية" في سياق العولمة، فإننا سنجد أن هذه الطفرة ليست بالضرورة تكاثرًا في المعرفة، بل إعادة هيكلة لمحتواها ووظيفتها. فالمعرفة التي تُنتج اليوم في الفضاء الرقمي، وضمن اقتصاد السوق، لا تستهدف التكوين الفلسفي أو التأملي، بل التفاعل السريع، والمردود الفوري، والتأثير المباشر. وهو ما يجعل من المثقف اليوم "منتج محتوى" أكثر منه منتج فكر. وهذا التحوّل لا يمكن قراءته بمعزل عن السياق الأيديولوجي الذي تُعاد فيه صياغة المفاهيم الكبرى كالهوية، والانتماء، والمعنى.

إلا أن بعض المحاولات العربيّة التي سعت إلى إدخال هذه المناهج الجديدة أو نظريات ما بعد الإنسان جوبهت إما بعدم الفهم أو بتهميش أكاديميّ يرفض تحديث المعرفة العربية النقديّة والأدبيّة، لكونها لا تنسجم مع الأطر التقليدية المتبناة داخل المؤسسات. وهنا تبرز مفارقة لافتة: فالمثقف العربي مدعو إلى أن يكون مبدعًا، لكنه يُطالَب بأن يفكّر داخل الصندوق، بل داخل الحدود التي رسمتها مرجعيات لم تكن يومًا نتاجًا لبيئته الثقافية أو الاجتماعية. وقد وصف جورج طرابيشي هذه الحالة قائلًا: "نحن نستهلك الحداثة دون أن ننتجها، وننقل السؤال الغربي دون أن نسأل أنفسنا عن صلاحيته لنا".

ويُمكن القول إن علاقة النقد العربي بالعولمة اتسمت حتى الآن باللبس والتردد، إذ لم يبلور بعد موقفًا نقديًا موحدًا، لا من منطلق الرفض المطلق ولا من منطلق الذوبان التام في المنقول . ولعل المسافة التي تفصلنا عن مشروع نقدي حقيقي، ليس في عدد الكتب أو التراجم أو المؤتمرات المُختصة ، بل في عمق الأسئلة التي تُطرح، ومدى جرأة النقد على زعزعة "الحقائق المعرفية" الموروثة أو المستوردة من الغرب.

الإيكولوجيا في الأدب – إعادة تأسيس العلاقة بينَ الإنا والآخر

الإبداع الأدبيّ عامةً في سياقاته تتبدى العلاقة بين الإنسان والمكان كأحد الثنائيات الهامة والكبرى التي شكلت وتُشكل باستمرار، حتى يومنا هذا، جوهر العديد من النصوص الأدبيّة. على الرغم من أن الأدب التقليديّ قد صور الطبيعة في بعض الأحيان كخلفيةٍ ثابتة أو مسرحاً للأحداث، فإن الأدب المعاصر، وخصوصًا الأدب الإيكولوجيّ، يقدم رؤية أكثر تعقيدًا لتمثيلات الطبيعة، حيث تكتسب البيئة صفة الفاعل المتحرك الذي يساهم في تشكيل الشخصيات والأحداث. في هذا الإطار، يُعدّ النقد الإيكولوجيّ أداةً لا تقتصر فقط على قراءة النصوص من زاوية بيئية، بل تسعى إلى إعادة بناء علاقة الإنسان بالطبيعة والمكان بوصفها علاقة متفاعلة، معقدة،

وأحيانًا متوترة.

شهدت فكرة العلاقة بين الإنسان والطبيعة في الأدب تطوراً متبايناً نتيجة للعديد من العوامل. من أبرز هذه العوامل هي التحولات البيئيّة البطيئة في الماضي والسريعة جداً في عصرنا الحالي وكذلك التغيرات لاقتصاديّة التي شهدها العالم في العصر الحديث، حيث أسهمت العولمة في خلق بيئات حضريّة صاخبة في مقابل التهميش المتزايد للمناطق الريفية الخضراء والطبائع الطبيعيّة. ومن هذه المنطلقات بدأت النصوص الأدبيّة تتعامل مع المكان باعتباره فضاءً مشوّشاً تهيمن عليه القوى الاقتصاديّة والتكنولوجيّة المهيمنة بدورها على العالم برمته. فالمدينة، التي كانت في الماضي مكانًا للحياة والروحانية، أصبحت اليوم في الأدب الحديث رمزًا للاستهلاك والتلوث، وهو ما يعكس الواقع المعاصر حيث يعاني الإنسان من تباين حاد بين تكنولوجيا المدينة والاتصال بالعناصر الطبيعية.

تتمثل أهمية الإيكولوجيا الأدبيّة بطريقة جلية في قدرتها على تحفيز النقاش حول القضايا البيئيّة المعاصرة من خلال الأدب، لاسيما في ظل التحديات البيئيّة العالمية التي تواجهها البشريّة والكائنات الحية الأخرى اليوم. من خلال النصوص الأدبيّة، فيعبر الكتاب عن صراعات الإنسان مع محيطه، ويقدم مقاربات جديدة لفهم تأثيرات التغيرات البيئية على الوجود البشريّ، بل ويطرحون حلولًا من خلال الأعمال الأدبيّة التي تعكس الفهم العميق للطبيعة كمكوّن أساسي من مكونات الهوية الثقافيّة. تلك العلاقة المتجذرة بين الإنسان والمكان، التي كانت في العصور السابقة تُقدّم بشكل تقليدي في إطار البيئة الطبيعية، تتخذ الآن مسارًا أكثر تطورًا حيث أصبح المكان لا يُنظر إليه فقط كفضاء جغرافي، بل ككيان معنوي تتداخل فيه عوامل اجتماعية، ثقافيّة، وفلسفيّة.

وفي الأدب العربيّ، لم تكن البيئة أو العالم الطبيعيّ أقل تأثيراً في تشكيل النصوص الأدبيّة عربيّاً. ففي الشعر العربي التقليديّ، كانت الطبيعة تُصوّر كعنصر تجميل، وكان الشعراء يختارون الأماكن الطبيعيّة تعبيراً عن مشاعرهم الشخصيّة. ومع ذلك، تغيرت هذه العلاقة في الأدب العربيّ الحديث والمعاصر، حيث أصبح المكان في الأدب العربي المعاصر يشير إلى قضايا تتعلق بالهوية والثقافات، والتغيير الاجتماعيّ، والتحولات السياسيّة والإقتصاديّة، بل وأصبح يُستخدم كوسيلة لتمثيل التحديات البيئيّة الكبرى التي تواجهها المنطقة العربيّة. فقد تناول العديد من الأدباء العرب في أعمالهم قضايا البيئة والتغيرات المناخيّة والبيئيّة، مشيرين إلى العلاقة المتأزمة بين الإنسان العربي والمكان الذي يعيشه أو يرغب بالعيش به. وهذا يظهر في أعمال مثل موسم الهجرة إلى الشمال للكاتب الطيب صالح، حيث يعكس المكان تأثيراته على الشخصية، وكيف أن الصراع بين المكان والمجتمع يعكس تحولات في الهوية الذاتية والوعي الجمعي، كذلك الشعر الجاهليّ والأدباء في العصور التي تلته، تناولوا مخاطر الصحراء والحيوانات الوحشيّة التي قد يتعامل معها الأديب ويرغب بتصويرها أو توظيفها داخل خطابه الإبداعيّ على اختلافه.

إلاّ أن إعادة تأسيس العلاقة بين الإنسان والمكان في الأدب الإيكولوجيّ تتطلب بالضرورة مراجعة أساليب الكتابة والتفاعل مع الطبيعة. فالطبيعة لا تُعتبر فقط إطاراً خارجياً لما يحدث داخل النص أو الخطاب الأدبيّ، بل هي عنصر فاعل يسهم في تشكيل معاني النصوص والخطابات. فالأدب الإيكولوجيّ مثلاً لا يكتفي بتناول البيئة كخلفية أو مكان جغرافي، بل يتعامل معها كفاعل مركزي في النصوص الأدبية، حيث يُظهر تأثير البيئة على النفس البشرية، كما في رواية ذاكرة الماء للكاتبة العربية نوال السعداوي، التي تعرض الطبيعة كقوة متحكمة في الأحداث. ففي العديد من روايات السعداوي، نجد أن البيئة الطبيعية لا تكتفي بتشكيل الهوية الشخصية فقط، بل تساهم أيضًا في تشكيل المواقف النفسية والتفاعلات الاجتماعية.

ونجد أن الأدب الإيكولوجيّ يعمل على تحفيز النقاشات حول البيئة وعلاقتها بالإنسان، ويطرح تساؤلات أساسية حول كيفية بناء هذا التفاعل بشكل يعكس أهمية حماية البيئة في العصر الحالي. فالأدب ليس فقط أداة لإعادة تمثيل الواقع، بل هو وسيلة لتغيير الواقع نفسه، وهذا يتطلب وعيًا بيئياً نقدياً يتم تجسيده في النصوص الأدبيّة.

وإعادة تأسيس العلاقة بين الإنسان والمكان في الأدب تعكس تحولًا في كيفيّة فهم الإنسان لبيئته. فالمكان لم يعد مجرد فضاء جغرافيّ، بل أصبح عنصراً حياً في النص الأدبيّ يتفاعل مع الشخصيات ليشكل دلالات معنوية وثقافيّة. فالأدب الإيكولوجيّ يطرح العديد من الأسئلة حول كيفية إعادة بناء هذا التفاعل بطريقة تدعم الاستدامة البيئيّة وتؤكد على أهمية الانسجام بين الإنسان والطبيعة.

ونستطيع القول أن الأدب الإيكولوجيّ يعد أحد المجالات التي تفتح الأفق لفهم أعمق وأشمل للعلاقة بين الإنسان والمكان وبصورة أشمل الطبيعة التي يعيش داخلها الإنسان ، وهو يُسهم في توجيه الانتباه إلى البيئة كعنصر فاعل في النصوص الأدبيّة التي لم تعد تُصور الطبيعة باعتبارها مجرد خلفية، بل كعنصر فاعل يسهم في تكوين الأحداث والشخصيات وقد يغير مجرى الأحداث أيضاً. وفي هذا الإطار، يتحقق تفاعل جديد بين الأدب والبيئة، ويساهم في إعادة تشكيل وعينا بأهمية الحفاظ على الأرض، ويحثنا على التفكير في مستقبلنا البيئيّ من خلال نظرة نقديّة وإبداعيّة للنصوص الأدبيّة.

يمكن أن يُعد الأدب الإيكولوجي لا يُعدّ فقط انعكاسًا للتغيرات البيئية، بل هو أيضًا دعوة لإعادة التفكير في كيفية تعاملنا مع العالم الطبيعيّ في العصر الحديث. يتجاوز الأدب في هذا المجال مجرد الاستجابة للأزمات البيئية الحالية؛ ليكون أداة لتوجيه الفكر النقدي نحو مسألة التفاعل بين الإنسان والبيئة عبر منظور ثقافيّ وفلسفيّ عميق. تبرز أهمية هذه المقاربة النقديّة في قدرتها على كشف الروابط بين التدهور البيئيّ والتحولات الاجتماعيّة والثقافيّة التي نعيشها اليوم في عالمنا العربيّ على سبيل التحديد.

وتتجلى هذه الروابط في النصوص الأدبيّة المُتناولة للتحديات البيئيّة وتُظهر كيفية انفصال الإنسان تدريجيًا عن الفضاءات الطبيعيّة من حوله، مما يخلق توترًا وفجوة كبيرة في العلاقة بين الفرد والمكان. فالتحديات البيئيّة الكبرى مثل التغيرات المناخيّة والاحتباس الحراري لا تقتصر فقط على التأثير في الموارد الطبيعيّة، بل تؤثر أيضًا في نمط حياة الإنسان والمجتمعات، وهو ما يظهر بوضوح في الأدب المعاصر العالميّ والعربيّ الذي يتناول قضايا مثل التلوث، اختلالات النظام البيئي، والتدهور الثقافي الناجم عن تحول البيئة. الكتاب مثل ريتشارد كيرشينر في كتابه نقد البيئة في الأدب يناقش كيف أن الأدب يقدم رؤى جديدة حول تلك الظواهر البيئية التي قد تُصبح أكثر تفاقمًا إذا استمرت البشرية في تقاعسها عن أخذ المسؤولية البيئية على محمل الجد (نقلاً عن: عمّاش، ساعد 2017: 187- 190)

وفي الأدب العربي، تُعدّ التحديات البيئية موضوعًا ذا أهمية خاصة في واقعنا المعاصر، في ظل التغيرات السريعة التي تشهدها المنطقة نتيجة للتوسع العمرانيّ، وتدهور البيئة بسبب الحروب أو السياسات التنموية غير المستدامة. فقد ألهمت هذه التحديات العديد من الكُتاب العرب لإعادة التفكير في كيفية تمثيل البيئة الطبيعيّة في النصوص الأدبية. ومن خلال هذه الكتابات، يمكننا أن نلاحظ سعيًا إلى إيجاد طرق جديدة للتفاعل مع الأرض، بحيث لا تكون مجرد موطن للإنسان، بل جزءًا من تكوين الهوية الثقافيّة والفكريّة للمجتمعات. على سبيل المثال، نجد في أعمال الأدب العربيّ المعاصر على اختلاف مُسمياته يتناول البيئة بدقة في سياقات دالة على معاناة الإنسان العربيّ بسبب الممارسات الاقتصاديّة السيئة، مثل تلوث المدن، والتوسع العمرانيّ على حساب المساحات الخضراء.

وفي ذات الإطار، لم يكن الأدب العربيّ فقط متأثرًا بالتحولات البيئية العالميّة، بل شهدنا أيضًا تغييرات في التعامل مع البيئة في الأدب العربي في ضوء العولمة. فقد أصبحت البيئة قضية محورية في معالجة العلاقة بين الفرد والمجتمع، بل وحتى بين الإنسان والطبيعة، في سياق هذه العولمة المتزايدة التي تفرض تحديات بيئية جديدة على العالم بأسره. كانت الأعمال الأدبية التي تطرقت إلى هذه القضايا تسلط الضوء على دور الإنسان في تدمير البيئة التي يسكنها أو يعمل بها أو يستغل مواردها بطريقة قاسية، لكنها أيضًا تتجاوز فكرة لوم الفرد، لتصل إلى تسليط الضوء على السياسات والممارسات التي ساهمت في هذا التدمير البيئي.

إن هذا الوعي الأدبي البيئي يتطلب نقلة نوعية في فهم النصوص الأدبية وتقديمها بطريقة تتناسب مع أهمية الموضوع وحجم تأثيره على الإنسان وتأثير الإنسان عليه. فالأدب الإيكولوجي لا يقتصر فقط على النظر إلى البيئة بوصفها خلفية لتطوير الأحداث، بل يُنقَل إلى مستوى أعلى حيث يُصبح المكان عنصرًا فعالًا يعبر عن الإشكاليات الإنسانية الكبرى. بهذه الطريقة، يتطلب الأدب الإيكولوجي من المتلقين تغييرًا في المفاهيم التقليدية، ويضعهم أمام مسؤولية فكرية وأخلاقية تجاه البيئة.

إعادة إنتاج الذات العربيّة: النّقد الايكولوجيّ كأداة لتجديد الخطاب الأدبيّ

مرّ أدبنا العربيّ بتطورات هائلة على مدار قرون من الزمن، ولم يكن في معزل عن تأثير التّحولات الكبرى التي شهدها العالم العربي. ومن بين أبرز هذه التحولات التي باتت تشكل تحديات جمة للأدب والفكر العربيّ المعاصر، نجد التحولات البيئية التي غيرت من طبيعة التفاعل بين الإنسان والمكان أو الطبيعة، والتي باتت تشكل محورا مهما في فهم الذات العربية. في هذا السياق، يأتي النقد البيئي كأداة هامة لإعادة إنتاج الخطاب الأدبي العربي، وتجديد مفاهيم العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وذلك من خلال استكشاف وتناول قضايا البيئة في النصوص الأدبية.

فالعولمة، بما تحمل هذه الكلمة أو هذه النظرية الشاملة المُحدثة من تجارب ثقافية واقتصادية وسياسية عابرة للحدود، قد أثرت بشكل كبير على الأدب العربي. فقد طرحت العولمة تحديات بيئية جديدة لا تقتصر على تغيير نمط الحياة فحسب، بل تشمل أيضًا التأثيرات على طريقة تصور البيئة وتمثيلها في الأدب. نلاحظ كيف أن العولمة قد أفضت إلى تصاعد قضايا التلوث، التغيرات المناخية، وزيادة الهجرة بسبب تدهور الأراضي والمناخ. وقد شكلت هذه القضايا بيئة خصبة للأدباء والنقاد لإعادة النظر في تمثيل البيئة في الأدب العربي.

وأدب العولمة لم يعد يتعامل مع البيئة كعنصر طبيعي ثابت، بل أصبح المكان في الأدب العربيّ يعبر عن تحول اجتماعيّ واقتصادي يؤثر بشكل مباشر على الإنسان. في هذا السياق، يعد النقد الايكولوجيّ أداة لفهم تلك التحولات، حيث يتناول دور البيئة في تشكيل الهوية الثقافيّة العربيّة الحديثة، كما يساهم في تسليط

الضوء بدقة وعناية على تأثير العولمة في هذه الهوية. من خلال هذه الرؤية، يمكن للخطاب الأدبيّ العربيّ أن يعكس تلك التوترات التي يواجهها الفرد العربيّ في تفاعله مع بيئته المتأثرة بالعولمة.

ولطالما كان المكان جزءاً أساسياً من هوية الأدب العربيّ، حيث كانت البيئة الطبيعية تشكل جزءاً لا يتجزأ من تشكيل الذاكرة الثقافية والجغرافية للمجتمعات العربيّة. لكن في العصر الحديث أوالمعاصر، وتعقّد القضايا البيئيّة بسبب التغيرات المناخيّة السلبيّة والصراعات السياسيّة والاجتماعيّة، ظهرت الحاجة المُلحّة إلى تجديد العلاقة بين الإنسان والمكان في الخطاب الأدبيّ العربيّ. فالنقد الايكولوجيّ، وهو المنهج الذي يُعنى بدراسة العلاقة بين الأدب والبيئة، يُعدّ نقطة انطلاق لفهم كيفية تمثل البيئة في الأدب وكيفية تأثيرها على الهوية الثقافيّة والفكريّة للأدباء والمجتمعات.

وأحد تلك الجوانب الهامة التي يُعنى بها النّقد الايكولوجيّ هو طريقة تمثيل البيئة في الأدب. في الأدب العربيّ، كانت الطبيعة تُصور تقليدياً كخلفية رومانسيّة، حيث كانت الرياح، الأنهار، والصحارى تُستخدم كإطار شعري يعكس مشاعر الفرد وأحلامه و واقعه. لكن في الأدب العربيّ المعاصر، بدأنا نشهد تحولًا في هذا التوجه، حيث أضحى المكان يُصوّر كعنصر فاعل في النصوص الأدبيّة، يؤثر بشكل كبير في مسار الأحداث وتطور الشخصيات وتعقيد الفكرة أو تسطيحها.

ومن خلال النقد الايكولوجيّ، أصبحت البيئة تُعَرف ليس فقط كعنصر جماليّ أو خلفية للنص الأدبيّ، بل كعنصر فعّال يشارك في تشكيل الأحداث والشخصيات الإبداعية و حياتها. يركز هذا النقد على التفاعلات البيئيّة والإنسانيّة التي تتداخل مع قضايا الهجرة، النزوح، التلوث، واستنزاف الموارد الطبيعية على اختلافها، وهي قضايا تُؤثر بشكل مباشر في حياة الإنسان العربيّ. وكما يتعامل النقد البيئي مع هذه التفاعلات، فإنه يساهم في إظهار كيف أن الطبيعة لم تعد مجرد مسرح خارجيّ، بل جزءًا من الوجود الداخليّ للشخصيات الأدبيّة.

فإن الأدب العربيّ على مر العصور، ظل أداة أساسية لتوثيق هموم الإنسان العربيّ، معبرًا عن قضايا الهوية، الثقافة، والمكان وما يرافقها من تفصيلات دقيقة. ومنذ العصر الحديث، بدأ الأدب العربيّ في مواجهة تحديات بيئية لم تكن حاضرة في الكتابات الأدبيّة التقليدية. ذلك أن التغيرات المناخية، والتهديدات البيئية الناتجة عن التصحر والتلوث، وارتفاع درجة الحرارة، قد بدأت تترك آثارًا كبيرة على المجتمعات العربية، مما دفع الأدب العربيّ إلى إعادة التفكير في تصورات المكان والطبيعة. في هذا السياق، برز النقد البيئيّ كمنهج نقدي جديد يعيد تأسيس العلاقة بين الإنسان والطبيعة ويطرح أسئلة جديدة حول كيفية تمثيل البيئة في الأدب العربيّ.

وعلاوة على ما تمّ ذكره، فإن النقد الايكولوجيّ في الأدب العربيّ يعيد رسم الصورة التقليدية للأرض والإنسان، حيث يقدم رؤية جديدة تؤكد أهمية إعادة النظر في مفهوم التفاعل بين الإنسان والطبيعة. في الماضي، كان الأدب العربي يقدس الأرض والطبيعة كرموز للعراقة والهوية، أما الآن فقد أظهرت النصوص الأدبية الحديثة تبايُنًا كبيرًا في علاقة الإنسان بالمكان، حيث أضحى هناك عنصر مفقود يتمثل في تهديدات البيئة المتزايدة. ومن خلال النقد البيئي، يُمكن أن نرى أن الأدب العربي أصبح مرآة لهذه التحديات البيئية التي تواجهها المنطقة، وهي جزء من المعركة الثقافية الأوسع التي تهم الإنسان العربي في العصر الحديث..

والنقد الايكولوجيّ في الأدب العربيّ يسهم أيضًا في مساعدة المجتمعات العربيّة على التفاعل مع البيئة بشكل مسؤول، حيث يُسلّط الضوء على ضرورة الاهتمام بالحفاظ على الموارد الطبيعية والوعي البيئيّ المحليّ على أقل تقدير. فالأدب في هذا السياق لا يعدّ مجرد وسيلة للإمتاع الجماليّ أو التفكر الفلسفيّ، بل يصبح أداة فعّالة للوعي الاجتماعيّ والبيئيّ، يعكس من خلالها الأدباء العرب معاناة المجتمعات من التحديات البيئيّة المعاصرة، ويروج إلى ثقافة جديدة تتمحور حول الحفاظ على البيئة.

مالم تثمر حركات الترجمة والتعريب إلى العربية يوماً وتُفضي إلى مناهج نقديّة عربيّ بحتة تراعي خصوصيّة النصوص أو الخطابات الإبداعيّة العربيّة أو يمكنها أن تكون تجربة ناضجة تُعمم في أنحاء مختلفة من أنحاء العالم وقد تُدرس وتُدرّس أكاديميّاً أيضاً، لكن كخطوة أولى ينبغي التأسيس لمناهج نقديّة مُختصة بالخطاب/النص العربي تحلله و تفككه وتدرس ما ورائياته، وبذات السياق تراعي خصوصية المُبدع العربيّ ومرجعياته الثقافية بالذات والسياسيّة والإجتماعية، وأفكاره وخلجاته وظروف الكتابة والإبداع وسياقات النص/الخطاب الواحد و كلّاً على حِدة قبل أن تُدرس كمشروع إبداعي واحد متكامل، فالتفكيك أساس لإعادة التركيب.

الخاتمة

وفي ختام هذه المحاولة الهادفة للتقارب وتوحيد وجهة النظر النقديّة العربيّة وتسليط الضوء على الأزمة النقدية منذ زمن الحداثة ومابعدها ولغاية للحظة، يتبيّن مما سبق أنَّ النقد الأدبيّ العربيّ الحديث ما يزال يتلمّس طريقه في مواجهة التحولات المعرفيّة الجارفة التي فرضتها العولمة، حيث لم ينجح بعد في بناء استجابة نقديّة شاملة ومتوازنة تواكب الإيقاع المتسارع لتلك التحولات رغم وجود محاولات فرديّة لم تصل لمرحلة التواضع عليها و تطبيقها نقديّاً أو أكاديميّاً. فقد ظل نقدنا في كثيرٍ من ممارساته واقعاً في فخ

التّلقّي والتّقليد، ولم يُبلورمشروع نقديّ ذاتيّ عربيّ يعكس خصوصيّة الثقافة العربيّة وهمومها المعاصرة. وفي ظل هذا المشهد، المعاصر يظهر النقد الإيكولوجيّ بوصفه أحد أبرز المداخل المُمكنة لتجديد الخطاب النقديّ، لما يحمله من إمكانيات لإعادة تأسيس العلاقة بين الإنسان والمكان، ولما يطرحه من تصورات تتجاوز المركزيّة الإنسانيّة نحو رؤية أكثر اتساعًا وشمولًا.

لكن هذا الإمكان لا يتحقق بالتّبني السطحيّ للمفاهيم الغربيّة وإرغام العمل الإبداعيّ العربيّ على الخضوع لها، بل يتطلب وعياً نقدياً أصيلاً بالسياق الثقافيّ العربيّ، وإرادة معرفيّة تخرج بالنقد من منطق التبعيّة إلى أفق الإنتاج والتفاعل الواعي. إن أزمة البيئة ليست فقط شأناً بيئياً بل هي أيضاً أزمة فكر وثقافة، وعلى النقد العربيّ أن يتعامل معها بوصفها فرصة لإعادة النظر في أدواته ورؤاه الأدبيّة والثقافيّة. فالتحديات الكبرى التي تفرضها العولمة، من طفرات في المعرفة إلى اختلالات في الهوية، لا يمكن مواجهتها إلا بنقد قادر على استيعاب التحولات، دون أن يذوب فيها، وعلى استعادة الذات دون أن ينغلق عليها. ومن هنا، فإن إدماج البُعد الإيكولوجيّ في الممارسة النقديّة ليس ترفاً نظرياً فقط، بل ضرورة ملحّة لإعادة بناء خطاب نقديّ عربيّ أكثر حضوراً وفاعليةً في زمن مُضطرب يتطلب أصواتاً ناقدةً ومجددةً.

المصادر

أولاً: المصادر العربيّة

- إبراهيم، عبدالله، الثقافة العربية والمرجعيات المُستعارة، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ودار الأمان، ط1، 2010.
- الجيوسيّ، سلمي الخضراء، الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط1، 2007
- الرمادي، أبو المعاطي و العدواني، مُعجب :النقد البيئي: مفاهيم وتطبيقات، دار الانتشار العربي، بيروت، 2022.
- باومان، زيجموند، الحداثة السائلة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2016
- برانش، مايكل: النقد الايكولوجي، ترجمة معين رومية، مجلة نوافذ، العدد 36، 2007.
- جودت، عبير، النقد البيئي نظرية الأدب، كنوز المعرفة، عمّان، ط1، 2024.
- سعيد، إدورد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ت. د.محمد عناني، دار رؤية، طبعة 1995 المُزيّدة، القاهرة،ط1، 2006.
- سعيد، أدورد: من تفكيك المركزية الغربية إلى فضاء الهجنة والاختلاف، إعداد ونشر محمد الجرطي ، منشورات المتوسط، ميلانو، ط1، 2016.
- عمّاش، ساعد، سوسيولوجيا البيئة في ظل المدارس النظريّة والاتجاهات المُفسرة، جامعة باتنة، الباحث الاجتماعي، العدد 13، 2017
- كارتر، ديفيد: النظرية الأدبية: ترجمة: د. باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى سنة 2010.
- منتاق، سعيد ، مقال النقد الأدبي الإيكولوجي: نحو مقاربة جديد للإبداع الأدبي، موقع ريتاج بريس 2 يناير 2021.

ثانياً: المصادر الأجنبيّة

- Buell, Lawrence The future of criticism and the Environment, Blackwell, USA, 2005.
- Tajane, Suchitra, Ecocriticism In Literature: Examining Nature and the Environment in Literary works. Journal of Educational Administration: Theory and practice. 2024,30(6), 2162 – 2168, ISSN 2148-2403